الهدي النبوي في معالجة انحرافات الفتيان الجنسية

أكمل أحمد حسن
وليد سيد طنطاوي

جامعة النيلين

مجلة كلية الدراسات العليا

الرقم الدولي الموحد: 1858-6228

المجلد: 15 ، 2020م
العدد: 03

كلية الدراسات العليا
جامعة النيلين

Graduate College Journal – NU
Vol.15 -2020, No. (3)
ISSN: 1858-6228, http://www.neelain .edu.sd

مجلة الدراسات العليا - جامعة النيلين
المجلد 15 –2020، العدد (3)
الرقم الدولي الموحد للدوريات: 1858-6228

الهدي النبوي في معالجة انحرافات الفتيان الجنسية

أكمل أحمد حسن
وليد سيد طنطاوي

كلية الدرسات العليا – جامعة المدينة العالمية- ماليزيا

المستخلص

تناقش هذه الورقة البحثية - من خلال دراسة الأحاديث الشريفة- الأساليب النبوية الحكيمة في معالجة الانحرافات الجنسية التي وقعت في المجتمع النبوي، للاستفادة منها في معالجة انحرافات الفتيان في واقعنا. وتكمن أهمية الموضوع في خطورة وحساسية الانحرافات الجنسية التي تعالجها الورقة، وأهمية المرحلة العمرية المستهدفة. وتتلخص مشكلة البحث في تفشي هذه الانحرافات في واقع الشباب اليوم، والحاجة إلى معالجتها في ضوء الهدي النبوي. ويهدف البحث إلى استنباط الأساليب النبوية، وتطبيقها على الشباب في واقعنا. وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي لجمع الشواهد من السنَّة النبوية، وبيان صور الانحرافات والمعالجات. وكان من أبرز نتائج البحث غزارة وكفاءة الأساليب النبوية، واشتمالها على أساليب وقائية، وأساليب مصاحبة ومعالجة للانحرافات الجنسية. وأهمية التربية الإيمانية، والبيئة الصالحة في الحد من هذه الانحرافات

الكلمات المفتاحية: الفتيان، الشباب، الانحرافات الجنسية، الأساليب النبوية، الهدي النبوي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد... فقد أخبرنا القرآن الكريم أنَّ أكثر الناس يميلون عن الجادة، فيقعون في الفسق والجهل والكفر، وتصدر منهم من باب أولى الكبائر والصغائر والأخطاء بمختلف درجاتها. والسنَّة المطهّرة تقرّ هذه الحقيقة وتثبتها، ففي الحديث عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قوله :(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ) .[2]والواقع المشاهد يثبت هذا ويؤكده.

وإذاكان الوقوع في الخطأ سمة عامة للإنسان، فإنَّ لمرحلة الشباب القسط الأكبر من هذه الأخطاء، لوقوعها بين مرحلة عدم التكليف، ومرحلتي الكهولة والشيخوخة اللتين تتميزان غالبًا بالتعقّل، والميل نحو الاجتهاد في العبادة، والتقلّل من الاستجابة لملذات النفس وشهواتها.

وتبرز المشكلات الجنسية بقوة في قائمة الأخطاء التي يقع فيها الشباب في بداية هذه المرحلة العمرية، فيجد الآباء والمربون والمصلحون معاناة شديدة من أجل الحيلولة بين الشباب والوقوع في هذه الرذائل، ثم يعانون أكثر عند سعيهم لانتشال الواقعين منهم في هذه الرذائل. ولم يدّخر المربون وسعًا في معالجة هذه الانحرافات والحد من آثارها، وابتكار الأساليب التربوية الوقائية والعلاجية، لِمَا ظهر من عِظم أخطارها، وقبح آثارها.

والمتأمل للسنَّة النبوية القولية والفعلية يظفر بقدر كبير من المعالجات الناجعة التي آتت ثمارها، ونجحت في صيانة وصياغة أعظم جيل عرفته البشرية، ولا غرابة في غزارة هذه الأساليب العلاجية، فإنَّ أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من الشباب.

مشكلة البحث

تقترن مرحلة الشباب مشكلات عديدة، من أهمها مشكلة الانحرافات الجنسية التي تشكل هاجسًا للآباء والمربين. وتتلخص مشكلة البحث في تفشي هذه الانحرافات في واقع الشباب اليوم، وما نجم عنها من آثار سلبية، والحاجة الماسَّة لمعالجتها، والحد منها. وتلمس أنجع أساليب المعالجة من الهدي النبوي وتطبيقها في واقعنا.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من :

1- أهمية المرحلة العمرية، وهي مرحلة الشباب التي تعدّ أثرى مراحل العمر، وأكثرها عطاءً وحساسية.
2- خطورة الانحرافات الجنسية وآثارها المدمرة على الفرد والأمة، من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وغيرها.
3- تطرق البحث لأساليب عملية مستقاة من الهدي النبوي، الذي شرعه وطبقه من لا ينطق عن الهوى محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] أخرجه الترمذي في السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، 240/4، برقم 2499. وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ، 831/2، برقم 4515.

[2] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة الأعراف، 117/5، برقم 3076، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ، 925/2، برقم 5208.

أهداف البحث

1- استنباط الأساليب النبوية من الهدي النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في معالجة الانحرافات الجنسية.

2- تطبيق هذه الأساليب النبوية على الانحرافات في واقعنا المعاصر.

منهجية البحث

يقوم البحث على المنهج الاستقرائي للأحاديث النبوية القولية والعملية التي تضمنت المعالجات الحكيمة لصور الانحرافات الجنسية في زمنه عليه الصلاة والسلام، ومن ثم استنباط الأساليب المتبعة من خلال تحليل النصوص الحديثية. ويستعين الباحث بالمنهج الوصفي لبيان وتوضيح تلك المخالفات وملابساتها.

الدراسات السابقة

تؤرق الانحرافات الجنسية تفكير جميع المربين من آباء ومعلمين، ولا تكاد تخلو بيئة تعليمية أو مجتمعية من صور متعددة من هذه الانحرافات، تتفاوت في خطورتها بناءً على ظروف تلك البيئات. ولهذا كُتبت حولها دراسات عديدة، عالج بعضها إحدى صور الانحراف، ككتاب (التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي)، لمؤلفه فضل إلهي. وهو رسالة علمية تضمنت عشرة فصول في أربعة أبواب. استهدفت معالجة جريمة الزنا في المجتمع بصورة عامّة، دون تخصيص شريحة محددة. وتطرقت لحكم الزنا في الشرائع السماوية، وآثاره في المجتمع، وللنكاح وضوابطه وتبعاته، ولواقع المناخ الإسلامي الواقي من هذه الجريمة. وكتاب (خطورة العادة السرية)، لمؤلفه محمد المنجد. وهو رسالة صغيرة ركزت على معالجة العادة السرية فقط. وبعضها تناولت مشكلات الشباب مع التطرق للمشكلات الجنسية بشكل خاص، ككتابي (بلوغ بلا خجل)، و(ويسألوني تجارب عملية لحل مشكلات الشباب)، لأكرم رضا. وهما كتابان اختط فيهما مؤلفهما أسلوب الحوار، والأسلوب القصصي في بيان وإيراد المعلومات العلمية والطبية، كما أسهب في الحديث عن مرحلة المراهقة والتغيرات المصاحبة لها. كما تطرق عدد من الكتاب للموضوع عند الحديث عن هذه المرحلة العمرية ضمن مؤلفاتهم، ككتاب(منهج التربية الإسلامية، ج2)، لمؤلفه محمد قطب. قسَّم قطب المراحل العمرية إلى أربعة مراحل هي: الطفولة، الصبا (12-17) عاماً، الشباب (18-25) عاماً، النضج. وتناول المشكلة الجنسية بتركيز في مرحلة الصبا وموقف الإسلام منها، وكيف هذبها وتعامل معها. وسلك في طرحه أسلوب النقاش العقلي المقنع، لتقرير وإبراز منهج التربية الإسلامية الفريد. وتطرقت جُلُّ المؤلفات حول مرحلة المراهقة لهذه الانحرافات، ككتاب (المراهق كيف نفهمه؟ وكيف نوجهه؟)، لمؤلفه عبد الكريم بكار. استفتح المؤلف كتابه ببيان خصائص المراهقين، وعلاقة الوالدين بهما، ثم انتقل إلى أساليب توجيههم، وسبل مساعدتهم، واستعرض في الجزء الأخير أساليب التعامل مع مشكلات المراهقين. والكتاب موجه بصورة أساسية للوالدين كمربيين يحملان عبء التنشئة والتقويم. ولم يحرص على إيراد استشهادات وأدلة من الكتاب والسنة، وإنْ كان طرحه ينطلق من خبرة عميقة، وفكر تربوي إسلامي. وكتاب (تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس)، لمؤلفه محمد السيد الزعبلاوي. وهو في الأصل رسالة علمية تأصيلية، صاحبتها دراسة ميدانية. ويعد أوسع وأعمق المراجع التي عثرت عليها. أجرى الباحث موازنة عميقة بين النظرة الإسلامية ونظرة علم النفس للمراهق. أثبت من خلالها عمق وشمول وتفوق منهج الإسلام في تربية المراهق وفهم نفسيته. ولم يهدف إلى بيان أساليب المعالجة بصورة مباشرة، إلا أنَّه يمكن استنتاجها وتلمسها كثمرة لفهم نظرة الإسلام للمراهق. وقدَّم السر أحمد سليمان بحثًا بعنوان(العوامل الواقية للشباب من الانحرافات الجنسية استنباطًا من قصة يوسف عليه السلام)، اختتمه بموجهات إجرائية لبرنامج تربوي وقائي من الانحرافات الجنسية. وهو كما ظهر من عنوانه يركز على جانب الأساليب الوقائية. تلتقي الدراسات السابقة مع بحثي في عنايتها بالانحرافات الجنسية للشباب في مراحل مختلفة، إلا أنَّها تختلف عنه في منهجية وأسلوب الطرح والمعالجة. وما يميز بحثي هذا عنايته باستنباط كافة المعالجات لانحرافات الشباب الجنسية من السنة النبوية، على صاحبها أزكى الصلاة والسلام.

مصطلحات البحث

1- الهَدْي النبوي: كلمة (الهدى) تعني الرشاد والدلالة[3]، ومنها: هدى الله فلانًا. وهَديته الطريق هِداية :أي عرفته. وجاء في مادة (هدي) في لسان العرب[4]: الهادي من أسماء الله تعالى، لأنه هو الذي بصرهم وعرفهم بطريق معرفته. وهو كذلك هدى كل مخلوق إلى ما ينفعه.

2- النبويّ: نسبة إل النبي محمد صلى الله عليه وسلم .أمَّا التعريف الإجرائي فهو: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في التعامل مع الأخطاء. ويتضمن ذلك الوسائل والأساليب التي اتبعها في التوجيه والإصلاح. وهذا التعريف يتفق مع التعريف اللغوي.

3- الفتيان: الفتى الشاب[5]، والجمع فتيان. ومرحلة الفتوة هي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة المراهقة. وأصل تسمية المراهقة: من اللفظ رهق، وله معانٍ منها: الكذب والخفة والعربدة والحدة والسرعة إلى الشر، كما أن له معنى آخر هو: الدنو والقرب. جاء في لسان العرب مادة رهق. "وَرَاهَقَ الغلامُ، فهو مراهِق إذا قَارَبَ الِاحْتِلَامَ. والمُراهِق: الغلام الَّذِي قَدْ قَارَبَ الحُلُم، وَجَارِيَةٌ مراهِقة. ويقال: جَارِيَةٌ راهِقة وَغلام راهِق، وذلك ابن الْعَشْرِ إلى إحدى عَشْرَةَ..." .[6]وقد تعددت تعريفات المتخصصين لمرحلة المراهقة[7]، ففرق الزعبلاوي بين مرحلتي المراهقة والشباب، وعرفها بأنها: "المرحلة النمائية الثالثة التي يمر بها الإنسان في حياته من الطفولة إلى الشيخوخة وهي تتوسط بين الصبا والشباب، وتتميز بالنمو السريع في

[3] الرازي، مختار الصحاح، ط2، مادة "ه د ي"، ص288.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ط3، مادة "ه د ي"، 15/ 353-358.

[5] الرازي، مختار الصحاح، ط2، مادة "ف ت ي"، ص206.

[6] ابن منظور، لسان العرب، ط3، مادة "ر ه ق"، 130/10. وعلى هذا فإن التعريف اللغوي لا يتفق مع التعريف الاصطلاحي الحالي الذي يعتبر بداية مرحلة المراهقة بعد سن البلوغ. وقد ذكر ابن منظور معاني عديدة أخرى في ج10، ص 128-131.

[7] الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، د. ط، ص4. جاء في تعريف المراهقة في معجم مصطلحات الطب النفسي " المُرَاهَقَة: (Adolescence) ... تقع فترة المراهقة بين مرحلة الطفولة والنضج، وتمتد في الفترة الزمنية بين13-20 سنة، وتتميز بحدوث تغييرات بدنية ونفسية واجتماعية، وقد تحدث خلالها بعض الاضطرابات النفسية والسلوكية، ...."

جميع اتجاهات النمو البدني والنفسي والعقلي والاجتماعي" .[8]أما الشريف فقد عبر عنها بمرحلة بلوغ الحلم، رافضًا التفسير السلبي لمصطلح المراهقة؛ لأنه جاء على خلاف الحقائق، إذ تعلقت بهذه المرحلة أحكام شرعية مثل حكم خلوته بالأجنبية، وكونه محرمًا، وهل تعد حجّته مجزِئة عن حجة الإسلام؟ .[9]يمكن القول من التعريفات السابقة بأن المقصود بمرحلة المراهقة في واقعنا: مرحلة عمرية انتقالية بين مرحلتي الطفولة والنضج أو الرشد، تبدأ من البلوغ حتى مرحلة النضج أو الرشد، وتكتسب حساسيتها من كثافة التغيرات الشاملة التي تعتريها. والأولى أن يطلق على من احتلم وبلغ هذه المرحلة من العمر فتى، أو شاب[10]، وتجنب مصطلح المراهقة لما له من دلالات سيئة من جهة، وغير دقيقة في الدلالة على المرحلة من جهة أخرى.

4- الانحرافات الجنسية: الانحراف هو العدول والميل عن الشيء[11]، والمقصود بالانحرافات الجنسية: الميل عن طريق العفاف الذي شرعه الله لعباده لإقامة العلاقة الجنسية الملائمة للفطرة السوية، والعدول عنه إلى إشباع الغرائز بالفواحش: كالزنا، ومقدماته: كالتحرش، وإطلاق النظر إلى العورات. وجميع هذه الانحرافات جرائم يميل بسببها الشاب عن السواء في الإشباع الجنسي الذي حدد الإسلام له طريقين، هما: الزواج الشرعي أو ملك اليمين. قال تعالى:(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6)) .(سورة المؤمنون، الآيات:5-6).

أسباب وقوع الشباب في الانحرافات الجنسية

ترجع أسباب وقوع الشباب في هذه الانحرافات إلى عدة عوامل من أبرزها: طبيعة المرحلة العمرية، وتعسر الزواج لتعقد الحياة وارتفاع المهور. كما أنَّ انتشار المثيرات الجنسية في المجتمع، من خلال القنوات الإعلامية، يؤدي إلى تأجيج الشهوات خاصة مع ضعف الجهود الدعوية، وتقصير المدرسة والأسرة في القيام بدورهما التربوي.

أسباب خطورة الانحرافات الجنسية

تعد المشكلات الجنسية من أصعب الأخطاء التي يُعاني منها الشباب - حتى الذين أُوتُوا حظًا من الصلاح والاستقامة- في هذه المرحلة العمرية. ومما يؤكد على خطورة الانحرافات الجنسية وضرورة ضبطها ما يلي:

1- وقوع بعض أفراد المجتمع النبوي على طهارته ونقائه في زمان تَنَزُّل الوحي، ووجود النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، في صور من هذه الانحرافات بحكم الضعف البشري. وكانت هذه الشهوة سببًا لوقوع بعض الصحابة رضي الله عنهم في مخالفة أمر الله كما أخبر بذلك سبحانه في قوله تعالى:(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ) .(سورة البقرة، جزء من آية 187).[*13] [12]

2- كان التحرش من أكثر المخالفات الجنسية وقوعًا مقارنة بغيره من الجرائم على نُدرتها في العهد النبوي، فقد تعددت الحوادث والروايات التي تضمنت حوادث تحرش، كالقبلة والمس والضم. وأورد ابن حجر عبارة موجزة في التعليق على حادثة أبي اليسر قال فيها: "وأنَّ الأصح في تسمية هذا الرجل أنَّه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، وأنَّ نحو ذلك وقع لجماعة غيره".[14]

3- كثرة ما ورد في القرآن والسنَّة من نصوص تحذر من فتنة الشهوة الجنسية، وتضع التدابير الواقية من الوقوع في الزنا والفواحش[15]. وقد أذعن خيار هذه الأمة لهذه التوجيهات، فكان الرجال أبعد ما يكون عن كل ما يسبب الفتنة بالنساء، وكان النساء أحرص ما يكون على الحجاب والعفة.

4- قسوة العقوبات المترتبة على الوقوع في الجرائم الجنسية: كالزنا واللواط، وعلى قذف المحصن. وقد خص الله الزنى من دون العقوبات بثلاث خصائص، فجعل القتل فيه أبشع القتلات للمحصن والجلد والتغريب لغير المحصن، ونهى عباده عن أن تأخذهم بالزناة رأفة، وجعل إقامة الحد على الزناة بمشهد من المؤمنين.[16]

5- تركيز أعداء الأمَّة وفساقها على إفساد الشباب وعامة الأمة، باستخدام المرأة وإشاعة الانحراف الجنسي وتهييج الشهوات، عبر وسائل لا تكاد تحصر، لقناعتهم بأنَّ الجنس هو أقوى وسائل الإفساد.

6- الآثار الصحية والنفسية والاجتماعية السيئة والخطيرة التي وتصيب الأفراد والمجتمعات نتيجة لهذه الانحرافات الجنسية.

7- تتضاعف خطورة الانحرافات الجنسية نتيجة لانتشار مظاهر الفساد والتبرج والانحلال في المجتمعات المسلمة، ولما تبثه وسائل الإعلام من مواد تفتقد الحياء، وقد تدعو للرذيلة. وقد كانت من ثمارها المشؤومة ارتفاع

---

[8]الزعبلاوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، ط5، ص16.

[9] الشريف. نحو تربية إسلامية راشدة، ط1، ص129.

[10] يقول ابن حجر: " والشباب جمع شاب...وأصله الحركة والنشاط، وهو اسم لمن بلغ إلى أن يكمل ثلاثين، هكذا أطلق الشافعية، وقال القرطبي في "المفهم" يقال له حدث إلى ستة عشر سنة، ثمَّ شاب إلى اثنتين وثلاثين ثمَّ كهل، وكذا ذكر الزمخشري في الشباب أنَّه من لدن البلوغ إلى اثنتين وثلاثين،...، وقال النووي: الأصح المختار أنَّ الشاب من بلغ ولم يُجاوز الثلاثين،..." العسقلاني ، فتح الباري، ط2، 10/9. وانظر: العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، ط2، ص27.

[11] الرازي، مختار الصحاح، ط2، مادة "ح ر ف"، ص56.

[12]وهذا ثابت في عامَّة كتب التفسير. انظر:العسقلاني، فتح الباري، ط2، 30/8. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط1، ص72. والمباركفوري، المصباح المنير، ط2، ص134.

[13]ومما يدل على خطورة هذه الشهوة، حدوث تجاوز من أحد الصحابة الكرام رضي الله عنهم - كما في قصة الذي وقع على امرأته في رمضان -بعد ثبات حكم التخفيف. وقد أسهم صلاح مجتمعهم ويقظة إيمانهم في سُرعة أوبتهم، وإقلاعهم عمَّا وقعوا فيه من موبقات. كما أنّ أصحاب هذه التجاوزات -على ندرتها- لم يتورطوا في جرائم تخالف الفطرة السوية كاللواط، أو تتسم بالعدوان والتعدي كالاغتصاب.

[14]العسقلاني، فتح الباري، ط2، 135/12. كما أورد عدة روايات لحوادث وقع فيها بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم عند شرحه لحديث ابن مسعود رضي الله عنه:(أنَّ رجلًا أصاب من امرأة قُبلة...).

[15]من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:(ما تَركتُ بَعدي فِتنَةً أضرَّ على الرجالِ منَ النساءِ). أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب: ما يُتقى من شؤم المرأة، ص 1010، برقم5096. قال ابن حجر: " وفي الحديث أنَّ الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهنَّ، ويشهد له قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء) فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك،..." العسقلاني، فتح الباري، ط2، 41/9.

[16] ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ط1، ص 163-164.

نسبة الجرائم الجنسية، وانتكاس فِطَرِ بعض أبناء المجتمعات المسلمة، وتبدل مفاهيم الحياء والحشمة.

الهدي النبوي في العلاج

حظيت هذه المشكلة الخطيرة بعناية الرسول صلى الله عليه وسلم، وأولاها ما تستحقه من العناية، فأغلق الأبواب الموصلة لها، وعالج ما وقع من صحابته الكرام شيبًا وشبابًا رضي الله عنهم بحسب ظروف كل خطأ، وملابسات كل موقف. ويمكن أن نصنف من خلال دراسة الأحاديث النبوية الأساليب النبوية إلى الأقسام التالية:

أولاً:الأسلوب الوقائي

تندرج تحته كل التوجيهات النبوية التي تقيم سياجًا منيعًا يحول بين الشباب والوقوع في مستنقع الشهوة الجنسية المحرمة. وهي توجيهات تسبق وقوع الخطأ، تخاطب المكلّف في حال رشده ووعيه، فهو ليس تحت التأثير المباشر للشهوة - وإن كان عُرْضَة لها في أي وقت- ليكون على حذر منها. وتهدف إلى بناء الحصانة الداخلية للمخاطبين وغرس قيم الفضيلة بتعليمهم الأحكام، وتنشئتهم على الحياء، وتربيتهم على أخلاق أهل الإيمان. ومن أمثلة هذه التوجيهات النبوية: الأمر بغض البصر، والأمر بالتفريق بين الأولاد في المضاجع، والأمر بستر العورات، ونهي المرأة عن الخضوع في القول، وتحريم الخلوة بالأجنبية وتحريم مصافحتها، والأمر بالحجاب وعدم التبرج، والنهي عن اختلاط الرجال بالنساء[*17]، والحث على الزواج، أو الصيام لمن عجز عن تكاليف الزواج، وغير ذلك من الضوابط والأحكام التي حفلت بها الشريعة الغراء.

ولا ريب أنَّ المجتمع الذي يأخذ بهذه التوجيهات سيقطع الطريق أمام هذه الانحرافات، فلا يقع فيها إلا من تكلّفها وتطلبها غير عابئ بحمى الله ومحارمه، ومثله على خطر عظيم؛ لأنه يسعى في هلاكه إلا إن يتداركه الله بالتوبة.

ثانيًا:الأساليب العلاجية لتدارك الخطأ

وهي أساليب تعامل بها النبي صلى الله عليه وسلم مع المقبلين على الوقوع في الخطأ، كما في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه وفيه: (إنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي بالزِّنا فأقبل القومُ عليه فزجَروه وقالوا: مَهْ مَهْ فقال: ادنُهْ فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال :أَتُحبُّه لِأُمِّكَ؟ قال :لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك، قال :ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم، قال :أفتُحبُّه لابنتِك؟ قال :لا واللهِ يا رسولَ اللهِ ، جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم. قال: أفتُحبُّه لأُختِك؟ قال: لا واللهِ ، جعلني اللهُ فداءَك. قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأَخَواتِهم. قال :أفتُحبُّه لعمَّتِك؟ قال :لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَكَ. قال :ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهم .قال :أفتُحبُّه لخالتِك؟ قال :لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَكَ. قال :ولا النَّاسُ يحبونَه لخالاتِه.م قال :فوضع يدَه عليه وقال: اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ) .[18]

كما وردت أساليب للتعامل مع الواقعين في الخطأ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في مسلم في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه: (...وأردف الفضلَ بنَ عباسٍ ، وكان رجلًا حسنَ الشعرِ أبيضَ وسيمًا، فلما دفع رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مرَّت به ظُعُنٌ[19] يجرين. فطفق الفضلُ ينظر إليهنَّ، فوضع رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يدَه على وجه الفضلِ، فحوَّل الفضلَ وجهَه إلى الشقِّ الآخرِ ينظر، فحوَّل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يدَه من الشقِّ الآخرِ على وجه الفضلِ. يصرف وجهَه من الشقِّ الآخرِ ينظر. حتى أتى بطنَ مُحسِّرٍ...).[20]

وفي رواية عن علي رضي الله عنه في سنن الترمذي في وصف حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (...فوقف وأردف الفضل، ثم أتى الجمرة فرماها، .... واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت: إن أبي شيخ كبير قد أدركته فريضة الله في الحج، أفيجزئ أن أحج عنه. قال: حجي عن أبيك، قال: ولوى عنق الفضل، فقال العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابا وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما...الحديث)[21]. ويمكن أن نستنج من هذه الأحاديث وأمثالها الأساليب التالية:-

1- أسلوب الرفق : وهو الإطار العام الذي يسري كالروح في جميع الأساليب العلاجية النبوية. ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشاب الذي طلب الإذن بالزنا: (ادنُهْ) وهي إجابة لطلبه الموغل في الغرابة والسوء، وتعني للشاب أنَّ طلبه يقبل النقاش والتفاوض، وربما يُستجاب له. وأمَّا ردة فعل الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، فتعني للشاب أنَّ طلبه غير قابل للطرح، فضلًا عن أن يكون صالحًا للنقاش. وبين الأسلوبين بون شاسع؛ فالأول يفتح الباب للتصريح بالمشكلة وعرضها، ثمَّ علاجها، والآخر يجعل المشكلة حبيسة صدر الفتى المشتعل بالشهوة وبالصراع بين مقتضياتها، ومقتضيات الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ولذلك فإنَّ المدخل لعلاج مثل هذه الأخطاء هو تيسير سبل اتصال الشباب بالمربين والدعاة، وإيجاد قنوات مُشرعة تُشجع الشباب على عرض مشكلاتهم في جو من الأمان والثقة. ولن تُؤتي هذه القنوات ثمارها ، مالم تؤسس العلاقة مع الشباب على الحب والتقدير المتبادل بين الشباب والدعاة.

2- أسلوب الحوار والإقناع: وهو علاج مناسب لحال من يحوم حول خطيئة الانحراف الجنسي، ويعيش صراعًا نفسيًا، أو شهوة متأججة تدفعه نحوها، ولَمَّا يلابسها بعد؛ لأنَّ في قلبه بقية من خير تردعه، سواءً

[17]الاختلاط المقصود هو"انضمام واجتماع ومداخلة الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم: بالنظر، أو الإشارة، أو الكلام، أو البدن، من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد". انظر: القحطاني، الاختلاط بين الرجال والنساء، د.ط، ص8

[18]أخرجه أحمد في المسند طبعة الرسالة، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان، 454/36، برقم22211. وصحح إسناده الأرناؤوط.

[19]"الظُّعن بِضَم الظَّاء والعين ويجوز إسكان العين: جمع ظعِينَة كسَفِينة وسفُن. وأصل الظَّعِينة البعير الذي عليه امرأةٌ ثم تسمى به المَرأة مجازًا لملابستها البعير" النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط 2، 189/8. "الظعينة الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن والجمع ظُعُنٌ...". الرازي، مختار الصحاح، د.ط، مادة:" ظ ع ن"، ص 170.

[20]أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ص483.

[21]أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الحج، باب: ما جاء أنَّ عرفة كلها موقف، ص162-163، برقم 885. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي،455/1.

صرح بذلك للداعية، أو استشف الداعية ذلك من حاله. وقد يُستدل من بيئة الشاب ومجتمعه اللصيق على معاناته، ويحول الحياء بين الشاب والتصريح بها. ويمكن للداعية أن يهيّئ الظروف للحوار متى ما دعت الحاجة إليه، دون أن ينتظر إقبال الشباب عليه وعرضهم لما يعانونه من مشكلات جنسية. وربما كان هذا أجدى وأنسب في زماننا هذا مع كثرة الفتن، ولاسيما في البيئات الصالحة التي يجهل كثير من شبابها معلومات مهمة تتصل بالتربية الجنسية لبعدهم عن البيئات الفاسدة التي يشيع فيها الحديث عن هذه الموضوعات دون حياء. والحوار يكونُ أنضج ثمرةً، إذا أقبل الشاب راغبًا في تحري الحق، وحين تكون معه بقية من إيمان وعقل وإرادة[*22]، لأنَّه سيكون أوعى للحجة، وأصدق مع نفسه، وأكثر قبولًا واتباعًا للحق متى ما ظهر له.

3- أسلوب التواصل الحسي الجسدي: إذا كان الحوار الناجح أداة فعَّالة في قمع الشهة، فإنَّ التواصل الجسدي الحاني الذي أعقب الحوار هو العلاج النفسي لما يصاحب الشهة من شهوة متأججة. فالشاب قد يقدم على المعصية مع قناعته العقلية بضررها وسوء عاقبتها، بدافع الشهوة لا الشهة، ولا يبرأ حينها إلا بدواء من جنس دائه يستهدف المشاعر والعواطف. والتواصل بين الداعية والشاب أسلوب يُشعره بقرب الداعية منه وحبه وصدق مودته له، فيكون ذلك أدعى لقبول نصح الداعية وتعليمه وعتابه. ولذا يجدر بالداعية استخدام هذا الأسلوب[*23] أثناء حواره أو نصحه أو عتابه أو إجابته لمن يعاني من المشكلات الجنسية، كما استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في خاتمة حواره.

4- أسلوب الدعاء للمخطئ : كل ما يبذله الدعاة لهداية الخلق من أسباب، وما يتبعونه من أساليب، وعلى رأسهم سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، ما هو إلا جهد بشري، ينجح تارة، ويخفق أخرى. والمشكلات الجنسية عميقة الجذور، بالغة التعقيد، حيث يُقابِل الجهود الإصلاحية المحدودة عشرات، بل مئات المؤثرات السلبية التي تكاد تبتلع الجهود الإصلاحية. وإذا استفرغ الداعية الجهد في معالجة هذا الداء، فإنَّه يفزع إلى الاستعانة بمن جعل القلوب بين أصبعين من أصابعه والنواصي بيده، والذي جعل تحقق الهداية معلقًا بمشيئته، راجعًا إلى حكمته. والدعاء بطلب العون من الله بحضرة الشاب قبس من التربية الإيمانية، وفيه توجيه غير مباشر له للجوء إلى الله، فلا يتعلق فقط بما أرشده إليه الداعية من وسائل، أو ما أسداه إليه من نصائح.

5- أسلوب تغيير المنكر باليد: وهو أعلى أساليب الإنكار التي تستخدم للحيلولة بين الشاب والمثيرات الجنسية التي تحيط به. وأبرز الشواهد على هذا الأسلوب العملي تصرفه صلى الله عليه وسلم مع الفضل بن العباس رضي الله عنهما في حجة الوداع. فقد حال النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بين الفضل بن العباس رضي الله عنهما وبين النظر إلى النساء، مرة بصرف وجهه ومرة بلوي عنقه. ومن تأمل الواقعتين والظروف المحيطة بهما، تبين له أنَّ لجوؤه صلى الله عليه وسلم إلى أسلوب التغيير باليد أنسب وأحكم لوجوه منها:

1- أن الوضع يحتاج إلى معالجة سريعة، إذ التأخر في منع المنكر يؤدي إلى تحقق وقوعه. فالمرأة أقبلت، والنساء يمرون على مرأى من الفتى الوسيم.

2- أنَّ الموعظة الكلامية، والأمر بالانتهاء عن هذا الفعل - مع قصر الزمن المتاح - لن تجدي، فدواعي الخير مثل القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والتلبس بالحج، لم تستطع كبح جماح الفتى عن النظر إلى المرأة الشابة.

3- ما أشار إليه النووي عند شرح هذا الحديث بقوله: "وفيه أنَّ من رأى منكرًا وأمْكنه إزالته بيده لزمه إزالته، فإن قال بلسانه ولم ينكف المقُول له وأمكنه بيده أثم مادام مقتصرًا على اللسان والله أعلم".[24]

4- تباين أسلوب التغيير باليد في الحالتين، فعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم كل حالة بما يناسبها مع اتحاد الأسلوب. ففي حالة الظعن اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بوضع يده على وجه الفضل رضي الله عنه، فتحقق المطلوب بعدم تمكينه من الرؤية. وفي حالة الشابة عمد صلى الله عليه وسلم إلى لوي عنق الفضل رضي الله عنه، إذ لا يتحقق المطلوب إلا بهذا الفعل. ولا شك أنَّ لوي العنق أشد من مجرد وضع اليد على الوجه، وهو تصرف يلفت الانتباه، حتى أنَّ العباس والد الفضل رضي الله عنهما قال: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟. ويجدر بالداعية أو المربي تطبيق هذا الأسلوب عند تعرض الشباب لفتنة النساء والصور التي تمتلئ بها الشاشات والصحف ووسائل التواصل الاجتماعي، إمَّا بأخذها من بين أيديهم بحكمة، أو بإخراجهم ومنعهم من ارتياد بعض الأسواق والمجامع. والداعية يراعي في تصرفه هذا أمرين هما: طبيعة العلاقة مع الشاب، وحجم الضرر المترتب على استمرار الشاب فيما هو عليه خطأ .[*25]

ثالثًا:الأساليب العلاجية لمن وقعوا في الخطأ

كل جريمة جعل الله لها حدًا شرعيًا، فعلاجها إقامة الحد، متى بلغت الحاكم، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكده بفعله. وإقامة الحد لا تغلق أمام المجرم باب التوبة مهما كان جرمه، بل تعينه ليعود إلى الجادة نقيًا ليستأنف حياة إيمانية جديدة، مالم يكن الجرم مستوجبًا للقتل كما في حد الزاني المحصن[**26] . وقد كان صلى الله عليه

[22] إذا وقع الشاب في الزنى فإنه يتحقق فيه قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، ص 54، برقم 57. وهو أيضًا في حال وقوعه يخالف ما يدعو إليه العقل، ويفقد قوة الإرادة التي تحجزه عن مخالفة الهوى، فالإيمان يُنْزع منه حال المعصية ثم يعود إليه بعدها.

[23] ينبغي للداعية أو المربي أن يحتاط عند مس أعضاء الشاب، ويراعي مناسبة الموقف ، وحال الشاب، حتى لا يكون موضع تهمة. يقول فضل إلهي عند تعليقه على حديث مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأس أبي محذورة رضي الله عنه: " ولا يمس المعلم أعضاء المتعلمين إذا وُجِد شيء من الشبهة أو التهمة، فإنَّا مأمورون بالابتعاد عن مواطن التهم". إلهي، النبي الكريم صلى الله عليه معلمًا، ط1، ص63.

[24] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط2، 190/8.

[25](*) العلاقة القوية مع الشاب تجعله يتحمل قسوة الداعية، وعاقبة الاستمرار في هذا الخطأ قد تجر الشاب إلى مزلق خطير يُفسد عليه دينه ودنياه، لذا فضرر القسوة أقل بكثير من ضرر الفتنة.

(**) [26]وهو ثابت بالسنة الصحيحة والأحاديث الواردة في رجمه صلى الله عليه وسلم لمن أحصن من الزناة.انظر: النيسابوري، الإجماع، ط1، ص 142، المسألة 632. و ابن القطان، الإقناع في مسائل الإجماع ، ط1، 255/2، المسألة 3677.وغيرهم

وسلم الحاكم في عهده، لذا أقام الحد على من رُفِع إليه. ولكننا تعرفنا من خلال سنته القولية والفعلية على المنهج الإسلامي في علاج ما يقع من جرائم جنسية لا تستوجب إقامة الحد، أو المستوجبة له قبل وصولها إلى الحاكم. ويمكن أن نعرض لبعض الحالات التي وقعت في عهده صلى الله عليه وسلم. ومنها:

1- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه :(كنتُ عِندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فجاءهُ رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ، إني أصَبتُ حَدًّا فأقِمهُ علَيَّ، قال: ولم يَسألْهُ عنهُ، قال: وحضَرَتِ الصلاةُ، فصلَّى معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلما قضى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الصلاةَ، قام إليه رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ، إني أصَبتُ حَدًّا، فأقِم فِيَّ كِتابَ اللهِ، قال: أليسَ قد صلَّيتَ مَعَنا. قال: نعم، قال: فإنَّ اللهَ قدْ غفَرَ لك ذنبَك، أو قال: حَدَّكَ).[27]

2- حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:(أنَّ رجلًا أصاب منَ امرأةٍ قُبلَةً، فأتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فذكَر ذلك له، فأُنزِلَتْ عليه: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (سورة هود، الآية: 114) .قال الرجلُ: ألي هذه؟ قال: لمَن عمِل بها من أُمَّتي) .[28]

3- حديث أبي اليسر كعب بن عمرو[29] رضي الله عنه:(أتَتني امرأةٌ تبتاعُ تمرًا، فقلتُ: إنَّ في البيتِ تَمرًا أطيبَ منهُ، فدخَلت معي في البيتِ، فأَهْويتُ إليها فقبَّلتُها، فأتيتُ أبا بَكْرٍ فذَكَرتُ ذلِكَ لَهُ قالَ: استُر على نفسِكَ وتُبْ ولا تُخبِرْ أحدًا، فلَم أصبِرْ فأتيتُ عمرَ فذَكَرتُ لَهُ، فقالَ: استُرْ على نفسِكَ وتُب ولا تخبِرْ أحدًا، فلم أصبِرْ، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ فذَكَرتُ ذلِكَ لَهُ، فقالَ: أخلَفتَ غازيًا في سبيلِ اللَّهِ في أَهْلِهِ بمثلِ هذا؟ حتَّى تمنَّى أنَّهُ لم يَكُن أسلمَ إلَّا تلكَ السَّاعةَ حتَّى ظنَّ أنَّهُ من أَهْلِ النَّارِ. قالَ: وأطرقَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ طويلًا حتَّى أوحى اللَّهُ إليهِ: " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (سورة هود، الآية: 114). قالَ أبو اليَسَرِ: فأتيتُهُ فقرأَها عليَّ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ أصحابُهُ: يا رسولَ اللَّهِ، ألِهَذا خاصَّةً أم للنَّاسِ عامَّةً؟ قالَ: بل للنَّاسِ عامَّةً) .[30]

4- حديث نعيم بن هزال الأسلمي رضي الله عنهما:(أنَّ ماعزًا أتى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأقَرَّ عنده أربعَ مرَّاتٍ، فأمَر برَجْمِهِ وقال لهَزَّالٍ: لو سَتَرْتَهُ بثوبِكَ كان خيرًا لكَ) .[31]

5- حديث نعيم بن هزال الأسلمي رضي الله عنهما قال:(كان ماعز بن مالك يتيمًا في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي: ائت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك، وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجا، فأتاه، فقال: يا رسول اللهِ! إني زنيت، فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول اللهِ! إني زنيت، فأقم علي كتاب الله، حتى قالها أربع مرار! قال صلى الله عليه وسلم: إنك قد قلتها أربع مرات، فبمن؟ قال: بفلانة، قال: هل ضاجعتها؟ قال: نعم! قال: هل بَاشرتها؟ قال: نعم! قال: هل جامعتها؟ قال: نعم! قال: فأمر به أن يرجم، فأخرج به إلى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجارة جزع فخرج يشتد، فلقيه عبد الله بن أنيس، وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير، فرماه به فقتله. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه) .[32]

يمكن أن نستخلص من الأحاديث السابقة بعض أساليب معالجته صلى الله عليه وسلم، ونوجزها فيما يلي:-

1- التربية الإيمانية: إنَّ أول ما يتبادر إلى ذهن الداعية عند تأمل هذه الأحاديث أثر التربية الإيمانية كأسلوب وقائي انتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم، فآتى أُكُله حتى بعد الوقوع في الخطأ. وهذه الأحاديث تكشف عن أثر التربية الإيمانية العالية التي تلقاها الصحابة الكرام فجعلت الذنب همًّا يسعون للخلاص منه حتى لو اقتضى العلاج التعرض لإقامة الحد!، ممَّا يدل على نجاح الأساليب الوقائية والعلاجية المبكرة التي تسبق الجريمة في الحد من هذه الجرائم حيث لم يسجل التاريخ إلا وقائع نادرة.

2- عدم التفصيل في وصف الجرم: لم يعمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التقصي والسؤال عن طبيعة الخطأ وكنهه، فهذا أستر للشاب وأحفظ لكرامته. والعمل بهذا الأسلوب عند وقوع الشاب في جريمة جنسية أولى لحساسية هذه الأخطاء التي يُستحيا من ذكرها. وإنما يكون طلب التفصيل عند استحقاق إقامة الحد وإصرار المخطئ، مع ما يمكن أن يؤدي إليه هذا من فتح الباب لإسقاط الحد بالشبهة أو بالتراجع عن الإقرار.

3- الستر: التوجيه للستر أمر وجه به الصحابيان الجليلان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واتفقا على قول: استُرْ على نفسِكَ[*33]. وهما في ذلك وافقا

---

[27] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الحدود، باب: إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، ص 1300، برقم 6823.

[28] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب: قوله(وأقم الصلاة طرفي النهار)، ص 897، برقم4687.

[29] أَبو اليَسَر كَعْب بن عمرو بن عَبّاد الأَنصاري السَّلَمِيّ. شهد العقبة وعمره20سنة وشهد بدرًا، وكان عظيم الغَنَاءِ فيها وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر، وكانت بيد أبي عزيز بن عمير. ثم شهد المشاهد مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم. وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. كان قصيرًا دحداحًا عظيم البطن ومات بالمدينة سنة خمس وخمسين. وقال ابْنُ إِسْحَاقَ: وكان آخر من مات من الصحابة، من أهل بدر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط3، 2/ 537. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط1 ، 7/380-381. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، 6/326.

[30] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة هود، ص495، برقم3115. وقال: حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني في سنن صحيح بن الترمذي،3/259.

[31] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الحدود، باب: في الستر على أهل الحدود، ص 478، برقم 4377. صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 2/587، برقم 2335.

[32] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الحدود، باب: رجم ماعز بن مالك، ص 483، برقم 4419. وصحح الألباني في صحيح سنن أبي داود، دون قوله: "لعله أن" 3/61.

[33] اتفاق الصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على هذه الإجابة يُفهم منه أنَّ هذا هو المنهج المعمول به في المجتمع، وإن لم يكن كذلك ، فقد أصبح هذا هو المنهج المتبع بتطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم له. فمن وقع منهم في خطأ كان يستر نفسه ويتوب، لذا لا يُستبعد وقوع حالات أخرى لم تُنقل، بل ستر الله أصحابها فتابوا وستروا أنفسهم، فتاب عليهم. فسلم المجتمع من انتشار الفواحش بالستر، وبالتوبة من عقوبة الله. ولا يُعد هذا من القدح في المجتمع النبوي النبيل الذي زكاه الله، بل هو دليل على سعة رحمة الله وسماحة هذا الدين حين شرع التوبة، وراعى الضعف البشري. وتحفيزًا لمن أخطأوا على التوبة، ودليلًا ساطعًا على عاقبة الستر. كما أنَّ اجتماع الخير والشر

قوله صلى الله عليه وسلم لهزال رضي الله عنه: لو ستَرْتَهُ بثوبِكَ كان خيرًا لكَ، وفعله بعدم سؤال صاحب الحد عن خطئه. وأثر هذا الستر لا يقتصر على المخطئ، بل يتعدى إلى المجتمع، إذ لو صرَّح كل صاحب خطأٍ بخطيئته وشاعت، لهانت الفواحش والمنكرات في أعين النَّاس، ولوجد الفساق وضعاف الإيمان لهم قدوة وأسوة، وما بالوا أن يهلكوا مع الهالكين، فالقدوة كما تتحقق بالأخيار، تتحقق بالفجار.

وكما أنَّ نظرة النَّاس السلبية للمخطئ معوِّقة له عن التوبة، فهي كذلك تحجب الآخرين عن الاقتداء به في الخير الذي عنده، والانتفاع بنصحه.

وينبغي على هذا أن يحرص الداعية والمربي على توجيه من يقعون في هذا الخطأ إلى ستر نفسه بعدم الحديث عنها، كما ينبغي على الداعية التزام الحكمة عند ذكر وقائع الفساد التي باشر علاجها، سترًا على أصحابها ولئلا تهون في أعين الفساق.[*34*]

4- التوبة: التوجيه للتوبة الذي أشار به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وهما أخص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلم الخلق بهديه ومنهجه، وهما اللذان أوصى النبي صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهما. فالانعتاق من أسر الذنب والمعصية لا يتحقق إلا بالتوبة؛ لأنَّ الشعور بالذنب والخوف من وقوع العقوبة أو سخط المحبوب (وهو الله تعالى) يجعل الشاب يعيش همًّاً وقلقًا دائمًا تظلم معه الحياة، وتفتر معه الهمَّة وتسفل منزلته في نفسه فيدفعه ذلك لمزيد من الخطأ، كما حصل للرجل الذي قتل 99نفسًا.

لذا فدلالة الداعيةِ للشاب المذنب على طريق التوبة، وتثبيته عليه، وبشارته بقبول توبة التائب من أعظم وسائل العلاج وأنجعها. وقد بشَّر الرسول صلى الله عليه وسلم المخطئ بقوله: فإنَّ اللهَ قدْ غفَرَ لك ذنبَك. والداعية يبشِّر من بعده بما جاء في الحديث: فقالَ أصحابُهُ: يا رسولَ اللَّهِ، ألِهَذا خاصَّةً أم للنَّاسِ عامَّةً؟ قالَ: بل للنَّاسِ عامَّةً.

5- عمل الطاعات: ينبغي إرشاد المخطئ إلى الحرص على الطاعات الجالبة للحسنات، من صيام وصدقة وبر وذكر وغيرها، مع العناية الخاصة بما ورد النص عليه في الحديث من إقامة الصلوات المكتوبة مع جماعة المسلمين. ويفيد سؤاله صلى الله عليه وسلم: "أليسَ قد صلَّيتَ مَعَنا؟" الحض على صلاة الجماعة، ومعيّة المؤمنين، فإنَّ من حرص على صلاة الجماعة تحققت له معيّة المؤمنين.

6- مراعاة عِظم الخطأ: ينبغي على الداعية إذا احتفّ بالخطأ ما يزيد من إثمه - مع مراعاة ما سبق من التوجيهات النبوية-أن يُغلظ على المخطئ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم:(فقالَ: أخلَفتَ غازيًا في سبيلِ اللَّهِ في أَهْلِهِ بمثلِ هذا؟). وهذا الإنكار أوقع أثره في روع المخطئ حتَّى تمنَّى أنَّهُ لم يَكُن أسلمَ إلَّا تلكَ السَّاعةَ، وحتَّى ظنَّ أنَّهُ من أَهْلِ النَّار، كما في حديث أبي اليسر، وحديث ماعز رضي الله عنه الآنفِ.[35]

إذا تأملنا الأحاديث السابقة وجدنا أنَّ المخطئ هو المبادر للاعتراف والإقرار بخطئه، طلبًا للعلاج ورغبة في التوبة. ولكننا نواجه في واقعنا شبابًا يقعون في هذه الموبقات غير راغبين في الإقلاع عنها، أو غير قادرين على التصريح بها. وستكون النتيجة المتوقعة إن لم نتداركهم هو أن تفشو هذه الجرائم، ويتعذر علاجها. وإذا كان الهدي النبوي ينهى عن التجسس، وتتبع عورات الناس[36] ، فإننا غير مطالبين بالتجسس، واستدراج المخطئين للاعتراف بأخطائهم. كما أنَّ مسؤوليتنا التربوية والدعوية توجب علينا بذل الوسع والطاقة لانتشالهم مما هم فيه متى ما ترجح لدينا وقوعهم في هذه الأخطاء، ولاسيما في هذا الواقع المشتعل بالفتن والمغريات. إنَّ المخرج من هذا المأزق والحرج يمكن أن يتحقق من خلال النقاط التالية:

1- توثيق الصلة بالشباب، وتعميق أواصر المحبة والثقة معهم، فإنَّ ذلك يدفعهم لِبَث همومهم ومشكلاتهم إلى الداعية المربي الذي يجدون في جواره الأمن والنجاة، كما وجد ذلك الصحابة الكرام في شخص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

2- استفراغ الجهد وبذل الوسع في حسن البناء أولاً، وإحكام سبل الوقاية ثانيًا يحد أو يقلل من عدد الواقعين في الأخطاء. وبضد هذا تنجم مشكلات وأخطاء قد لا نجد لها معالجات مباشرة في الهدي النبوي، لا لقصوره وعجزه بل لأن الهدي النبوي وضع من الضوابط، وأقام من القواعد وسبل الوقاية، ما يغلق الباب أمام هذه المشكلات والأخطاء. فإن لم نأخذ بها، لم نجن ثمارها.

3- إذا لم تُفلح الجهود السابقة في ردع من يقعون في الرذائل هذه - خاصة الجرائم التي يغلب عليها الاعتداء- وظهرت دلائلها على أحدٍ من الشباب، فإنَّ من الحكمة المواجهة بالإنكار والمنع، واللجوء إلى الرفع إلى الحاكم لإقامة الحد الشرعي الرادع. فالشرع الحكيم إنَّما شرع الستر، وفتح أبواب التوبة، ليكون عونًا للعبد على الاستقامة، وصونًا للمجتمع من فشو المنكرات. وإن لم يؤت أسلوب شرعي ما ثمرته، ويحقق هدفه، فعلى الداعية أن يلجأ إلى الأساليب الأخرى التي شرعها الله تعالى بحكمته.

وقد يواجه الداعية أو المعلم في بعض البيئات فئات من الشباب الفساق الذين يجاهرون بمثل هذه الانحرافات حتى تصل بهم الحال إلى تهديد غيرهم، والتعدي عليهم، وهنا يجب التصدي لهم بقوة وإحالتهم إلى الجهات الرسمية والشرط، لكف شرهم، وقطع دابرهم. فإنَّ في ردعهم، وتعرضهم للعقوبة، عبرة لغيرهم ممن تحدثهم أنفسهم بالانحراف عن الجادة، أو

والطاعة والمعصية في العبد المؤمن هو الأصل الذي عليه غالب المسلمين، والكمال عزيز، لذا فعلى الداعية أن لا يضيق ذرعًا بأخطاء الشباب وكثرة عثراتهم بل عليه أن يفتح لهم أبواب التوبة ويدلهم عليها.

[34]من مسببات نشر الفساد وتهوينه في النفوس، ما تنشره كثير من الصحف من جرائم شنيعة، تخصص لها صفحة خاصة، وقد تتصدر واجهات الصفحات الأولى بعناوين مثيرة فتُشيعها بدلًا من أن تُعالجها. وهذا إما من الجهل أو سوء القصد.

[35]ذكر الراوي في آخر الحديث: (ثم قام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خطيبًا من العشيِّ فقال (أو كلما انطلقْنا غزاةً في سبيلِ اللهِ تخلَّف رجلٌ في عيالِنا . له نبيبٌ كنبيبِ التَّيسِ ، على أن لا أوتَى برجلٍ فعل ذلك إلا نكَّلتُ به). قال: فما استغفر له ولا سبَّه. أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى، ص 703، برقم 1694.

[36]عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتَّبعوا عوراتِهم ، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحُه في بيتِه. أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب: في الغيبة، ص 529، برقم 4880. قال الألباني في صحيح سنن أبي داود،.3/197

سلوك مسالكهم. وليعلم أنَّ الهداية بيد الله سبحانه وتعالى، وأنَّ عدم استجابة البعض للمعالجة النبوية لا يرجع لقصورها، بل قد لا يقدر الله الهداية لبعض خلقه، مهما توفرت الأسباب، كما كتب على امرأتي نوح ولوط عليهما السلام.

الخاتمة

النتائج

1- ثراء الهدي النبوي بالأساليب الإصلاحية والتربوية الكفيلة بعلاج أعقد مشكلات الشباب، والتي من أبرزها المشكلات الجنسية، ممَّا يعمق الثقة بالهدي النبوي وقدرته على علاج مشكلات الشباب الأخرى.

2- اشتمل الهدي النبوي على أساليب وقائية ومصاحبة ومعالجة لهذه الانحرافات، أثبتت جميعها فاعليتها.

3- تسهم عدة عوامل في زيادة هذه الانحرافات منها واقع الإعلام الفاسد وضعف المقومات التربوية والجهود الدعوية، بالإضافة إلى طبيعة المرحلة العمرية.

4- وجوب بذل الجهد واستفراغ الوسع في الأخذ بالأساليب الوقائية، ومن ثم التأكيد على الأثر الكبير للتربية الإيمانية في علاج الانحرافات الجنسية والحد منها.

5- وقوع بعض الشباب في الانحرافات رغم تطبيق المنهج النبوي لا يعيب المنهج النبوي، بل هو دلالة على تقصير الداعية، أوتمكن الانحراف وتأصله في المدعو.

6- ضرورة التحلي بالحكمة عند مواجهة هذه الانحرافات، ومن مقتضياتها الرفق في مواضعه، والحسم والأخذ بالأساليب العقابية عند توفر دواعيها

التوصيات

1- تتبع الهدي النبوي في التعامل مع مشكلات الشباب الأخرى، وغيرها من مشكلات الأمَّة، وإثراء هذا المجال بالدراسات والأبحاث التطبيقية.

2- الاجتهاد والحرص الشديدين على توفير بيئة صالحة، ومحاضن تربوية للشباب تحفظهم من المؤثرات السلبية المحيطة: كالمراكز الشبابية التي يرعاها الدّعاة الوعاة.

3- الاجتهاد في تمليك الدعاة أساليب الهدي النبوي، والتي تبدأ بكسب محبّة الشباب وثقتهم.

المصادر والمراجع المعتمدة

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1،)بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1994م).

2. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، ط1، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1407هـ/1986م).

3. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ /1988م).

4. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، ط1، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ).

5. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، ط2، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ /2000م).

6. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، ط2، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م).

7. إلهي، فضل، التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف، د.ت).

8. إلهي، فضل، النبي الكريم صلى الله عليه وسلم معلماً، ط١، (الرياض: مؤسسة الجريسي ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م).

9. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، د. ط، (بيروت: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1419 هـ/ 1998م).

10. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع المختصر من السنن، د. ط، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د. ت).

11. حنبل، أبو عبد الله أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة،1421 هـ/2001 م).

12. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، د.ط، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د.ت).

13. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط3، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ / 1985 م).

14. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط2، (لبنان: مكتبة لبنان، 1993 م).

15. الزعبلاوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، ط5، (الرياض: مكتبة التوبة، 1436هـ-2015م).

16. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن معلا اللويحق، ط1، (بيروت: دار ابن حزم، 1424هـ/2003م).

17. الشربيني، لطفي عبد العزيز، معجم مصطلحات الطب النفسي، مراجعة: عادل صادق، تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية، د. ط، (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم الوطني، د.ت).

18. الشريف، محمد بن شاكر، نحو تربية إسلامية راشدة، ط1، (الرياض:مجلة البيان، 1427هـ/2006م).

19. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤادعبد الباقي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط 2، (مصر: دار الريان للتراث،1409هـ/1988م).

20. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ /1994م).

21. العيد، سليمان قاسم، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، ط2، (الرياض: دار العاصمة، 1433هـ- 2013م).

22. ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ط1، (المغرب: دار المعرفة، 1418هـ/1997م).

23. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، د.ط، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د.ت).

24. المباركفوري، صفي الرحمن، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ط1، (الرياض: دار السلام،1421هـ/2000م).

25. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط3، (بيروت: دار صادر،1414 هـ).

26. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ).

27. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، د.ط، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1419هـ/1998م).